

ايها الحفل الكريم

سيدي الدكتور :

لئن وجد - ولا اخال -

أديب او محب الأدب في هذا
الشرق العربي يراود نفسه عقوق
او غرور حتى ليباري في فضلك

الأديب يكتب للكافة

بقلم ربيع حورزي

من القراء . ولسبب أشد
خطورة اني من حيث التمسث
الكتابة لم يكن لي بد من مادة
لما اكتب ، وفي حياة هؤلاء
الكافة اغنى مادة استطيع ان
انتقي منها لما اكتب ، انتقي اذ

لا بد في كل صنيع فني من انتقاء ، انتقي من افراحهم
واتراحهم ، من آلامهم واحلامهم ، من واقعهم وما يتوقون
اليه ويجهدون في سبيله . وهكذا آخذ منهم وأرد عليهم ،
يعطونني فلا افقر ولا أجذب ، وأعطيهم فلا يركد وجودهم
ولا تبتهت الالوان في حياتهم .

وثمة سبب آخر هو في رأيي أشد الاسباب خطورة . فانا
من حيث كنت كاتباً فاني احرص ان يؤثر ما اكتبه الاثر
التوجيهي المثمر في شعبي . وهؤلاء الكافة هم القوام الذي لا
شعب ولا امة ولا قوم ولا وطن من دونه . ومهما يكن
هذا الاثر التوجيهي الذي انشده من وراء ما اكتبه ، اعني
صقلاً الذائقة التي تذوق الجمال ، او الباصرة التي تسبر المعرفة
وتطمح الى فهم الكون والتحكم فيه ، او للارادة التي تتطلب
حرية واستقلالاً للوطن ، او عدلاً اجتماعياً للمواطنين ، وسحقاً
للاستعمار في اي صوره ، ولحروب الفتح والنهب والاستعباد ،
وتبغني سلباً وثقافة ورفاهية للانسانية ، اقول مهما يكن هذا
الاثر التوجيهي الذي انشده من وراء ما اكتبه فانه يبقى
حرفاً ميتاً ما لم يداخل هؤلاء الكافة ، ما لم يتحول ايماناً
واقناعاً ونوراً في عقولهم وغضباً وتحدياً وحبساً وتضحية في
صدورهم ، وعزماً وحركة وعملاً في سواعدهم .

يقول توماس مان في فصل له عن « الفنان والمجتمع » :

« الفن آخر شيء يتوهم الاوهام عن مبلغ اثره في مصائر
العالمين . برغم ان الفن قد قبح كل منحط ودنيء ، فانه لم يستطع
يوماً ان يقف سير الشر . لقد حرص الفن ان يفيض على الحياة
عقلاً وكرامة ولكنه قد عجز دائماً عن ان يضع حداً لاتفه
السخافات . ليس الفن قوة ولا قدرة . إنه لا يعدو ان
يكون عزاء . »

هذا ما يقوله الاديب الالماني العالمي توماس مان . واحسبه
على تبصره وشموخ مهابته خاطئاً . وتجارب الانسانية ، هذه
التي نعبر عنها بالتاريخ هي التي تخطئه الكتب المقدسة كالانجيل

عليه واحسانك اليه والى الثقافة والفكر والاستنارة ، فلست
انا اياه ! واذا جاز لي ان أطول الى مقعد بين الادباء واتكلم
باسم مجتهد من مجتهدة القلم في هذه الرقعة العربية من الدنيا ،
فاني احيي فيك الرائد الذي سعد بنا الى هضاب وذرى منها
اشرفنا على آفاق رحبة مضيئة سواء منها ما اشرق في سالف
الارث العربي او عريق الارث اليوناني او محدث الآداب
العالمية ، فليس منا نحن المعاصرين من لم تكن لك ياسيدي
شركة سخية العطاء في تعليمه وتبصيره . وغاية ما ارجوه في
موقفي هذا الذي شرفني واهبتني بوقوفك معي فيه
مساجلاً لا هم لك الا الحق ، ألك كان الحق ام عليك ، في
مسألة حيوية تعني كل اديب وكل مواطن بقدر ما هو انسان
يعنيه خبز الروح كما يعنيه خبز الجسد ، اقول : غاية ما
ارجوه في موقفي هذا ان لا يصدق عليّ ، بعد ما علمتني ،
قول الشاعر :

اعله الرماية كل يوم فلما اشتدّ ساعده رماني !

ذلك انك قد اخترت في هذه المسألة التي تباين فيها رأينا
اصعب الموقفين . ولا اشك في انك ما كنت لترضى الامر
الا من باب الفروسية التي تمنح الحُصم اوثق موقف واسهل
موقف للدفاع والهجوم . فلك المنة ..

سيدي الدكتور ، لمن تكتب ؟ للعامّة ام للخاصة ؟ لقد
اوجب عليك الموقف الذي ارتضيته ان تقول : انك للخاصة
تكتب . فمن هم الخاصة هؤلاء ؟ اما الكافة الذين ازمع اني
اكتب لهم فهم معروفون يتألفون من هذه الجماهير التي تسعى
سعيها وتكدح كدحها في مختلف دروب الحياة . العامل في
المحترف او المصنع ، الفلاح في الحقل ، الطالب في المدرسة ،
التاجر الصغير في الحانوت ، الموظف الصغير في المكتب .

جميع هؤلاء هم الكافة الذين اكتب لهم لسبب اولي اني من
حيث لحقتني حرقة الكتابة فانما يدفني منطلق عملي الى مخاطبة
العدد الاوفر من القراء ، وفي هؤلاء الكافة العدد الاوفر

جريمة الى التحرر والتجديد في باب يفضي منه الى التحرر والتجديد في ابواب اخرى اعظم خطراً . وضايق رأي الدكتور يومئذ فربحاً من ذوي السلطان والنفوذ فاضطهدوه واحرقوا كتابه . وانما امكنهم ان يفعلوا ذلك لان رأي الدكتور كان مقتصراً عليه وعلى قلة من المستشرقين في الغرب ومن الباحثين في الشرق العربي . وبكلمة اخرى لم يكن رأي الدكتور بما اتصل بالشعب ولا كان التوق الى التحرر والتجديد أمراً انتشر وعمق في وعي الشعب ، ولا كان احراق الكتب واضطهاد الباحثين شيئاً يعني الشعب ويثير موجاً صاخباً من الاستنكار .

ان الفن وما يشتمل عليه ادائه من رونق وجمال ، والفن وما ينطوي عليه محتواه من صور وافكار ، يلبث - كما يقول توماس مان - عاجزاً حقاً حتى يلهم البشر ويلهمهم ، حتى يصبح قوة تحرك الشعب .

وإذا كان الدكتور لم يقتنع بعد ، فليأذن لي ان اردته الى ميدان هو فيه سيد العارفين ، واذكره بمقدمة انشأها لرسائل اخوان الصفاء ، الجماعة الفلسفية المشهورة في تاريخ الفكر العربي . أراد الدكتور ان يصور زمن الجماعة : القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) فكان بما قاله في وصف ذلك العصر من عصر العباسيين : « هناك

مظالم قائمة ومحارم منتهكة ونفوس مطووبة بغير ذنب واموال مسلووبة في غير حق . » وهذا ما يفسر لنا الاتجاه السياسي الذي ظهر - وان حاولوا ابطانه - على تفكير الجماعة وحركتهم . فرأوا انهم في دولة سموها « دولة اهل الشر » وذهبوا الى ان الدول « لها وقت معين منه تبتديء وحد اليه تنتهي » ، ثم ذهبوا الى ان « دولة اهل الشر ، هذه ، قد بلغت الحد الذي اليه تنتهي ، فقد حان انهارها وآن دمارها ؛ لتقوم دولة اهل الخير . ورأوا ان دولة اهل الخير هذه ، يبدأ اولها من اقوام خيبر فضلاء يجتمعون في بلد واحد ويتفقون على رأي واحد ودين

والقرآن (اذكرهما باعتبارهما من الخالدات الادبية) وآثار جون لوك وديدرو وفولتير وروسو وتوم باين ومكسيم غوركي الخ... هذه الآثار وكثرة غيرها كانت عزاءً كما يقول توماس مان أم انها كانت قوة فاعلة في احداث روحية ومادية تمثلت في الاحياء من المسيحي والاسلامي وفي الثورات الانكليزية والاميركية والفرنسية والروسية وشاركت في تكييف مصائر العالمين ؟

وأما ان الفن لم يستطع ان يقف سير الشر ولا ان يضع حداً لاتفه السخافات ، والحقاقت ، فاعتراض يؤدي بنا الحوض فيه الى مسائل فلسفية : ما عسى أن يكون الخير اذا فقد الشر ؟ وما عسى أن يكون العقل والحكمة اذا عدم السخف والحقق ؟ ومع ذلك فتوماس مان لم يكن مشتطاً كل الشطط في ما ذهب اليه . فالفن كثيراً ما يكون عاجزاً حقاً . ولكن متى وكيف ؟ ان الفن ، على تعريف قريب يكفي حاجتنا الساعة ، انما هو بالنتيجة صور وافكار تؤدي في رونق وجمال . والصور والافكار لا تؤثر اثرأ بنفسها وانما الذين يؤثرون هم البشر عندما تلهمهم وتلهمهم تلك الصور والافكار . كان جون لوك الانكليزي يقول : ان ملكية الملك ليست بحق إلهي وإنما هي بعهد وميثاق بين الملك والشعب . وهذا ما جهر به من



الاستاذ ريف خوري

بعده روسو الفرنسي في سفره «العقد الاجتماعي» . وتلك فكرة لو لم تنبت في الشعب ، في ظروف مهينة ، فكرة لو لم تصبح توجيهاً في مدارك الشعب لبقيت حرفاً ميتاً ولم يكن لها اثر ما كالاثر الذي ظهر لها في الثورتين الانكليزية والفرنسية . ومالي اذهب بعيداً ؟ فمنظري الدكتور طه حسين نفسه قد رأى في وقت من الاوقات رأياً في الشعر الجاهلي ربما لم يكن في حد نفسه ذا خطر عظيم . إلا انه كان ذا خطر عظيم حقاً من حيث انه كان اتهاماً شديداً لعقلية جامدة تستقيم على ما ورثت عن السلف الصالح ، وكان نقداً عنيفاً لاساليب النظر التقليدي في الاشياء والى الاشياء ، وبالتالي كان دعوة

واحد ومذهب واحد ، ويعقدون بينهم عهداً وميثاقاً بأنهم يتناصرون ولا يتخاذلون ويكونون كرجل واحد في جميع امورهم . « ثم اجتهدوا في ان يرسموا اساً عقائدياً لهذا الرأي الواحد والدين الواحد والمذهب الواحد . فخلصوا الى فلسفة توفيقية لن ندخل في تفاصيلها ، ولكن نخص منها بالذكر الموقف المستنير الذي وقفته الجماعة من تعدد الاديان ثم تعدد الشيع والفرق في الدين الواحد فقالوا ما خلاصته : ان كل دين لا يخلو من حق وان الاديان كلها مؤتلفة الاهداف ، وان تعددها راجع الى اثر المراحل التاريخية التي انبثقت فيها ، وان تعدد الشيع والفرق في الدين الواحد عائد لا الى حق وحقيقة بل الى منافع تتعارض ومطامع تتضارب . وهذا موقف ايسر ما يقال فيه انه كان جديراً على الاقل بان يوجد تعابشاً منسجماً وتسامحاً وتفاهماً بين اهل الاديان والفرق والشيع المتعددة في بقعة من الدنيا قد آذاها وما زال يؤذيها استغلال تعدد اديانها وفرقها وشيعها بايد تعبت من داخل وخارج تفسد الثقة وتزرع بذور الفتنة وتنفث سمّاً في الجو .

ولكن التجربة التي قام بها اخوان الصفاء لم تعط ثمرها المرجو برغم ان الانحلال الذي اخذ بعري الدولة العباسية منذ عهد المتوكل كان يحوج الى تجربة كتلك التجربة ولا يجرها امكانات النجاح . لم يستطع اخوان الصفاء ان يهدموا دولة اهل الشر ويشيدوا دولة اهل الخير ، ولا قدروا ان يؤمنوا الظفر للموقف المستنير الذي ارادوه من تعدد الاديان وتعدد الفرق والشيع في الدين الواحد . ولماذا ؟
ثمة اسباب كثيرة ، يبينها الباحثون .
الا اني لا شك في ان احد هذه الاسباب الخطيرة ان اخوان الصفاء علقوا الامل في تنظيم جماعتهم على قلة من الناس سموهم « الحيار الفضلاء » ولبثوا مقفلين على انفسهم في نطاق ضيق من هذه القلة والنخبة او الخاصة - كما احسب الدكتور يقول - ولم يطلقوا المجاري بينهم وبين الكافة او الجماهير كما يتاح لافكارهم (اعني اخوان الصفاء) ان تتحول من رسائل بلجر الى قوة وثابة في الشعب .

ومع ذلك فيبدو ان اخوان الصفاء كانوا بين مفكرينا القدامى افضل من غيرهم في هذا الوجه . فالكثرة الغالبة من قدامى مفكرينا قد اعتبرت الفكر امتيازاً لها بل احتكاراً ، ووقفت من الكافة موقف المتهم والمستريب والمستعفي

والمستحقق لهؤلاء الكافة ، فثمة - كما يشهد مثلاً مغزى اشهر قصة فلسفية عربية قديمة : حي بن يقظان - ثمة دين للخاصة ودين للكافة ، يكفي العامة النقل والتقليد واما العقل والتوليد فللنخبة . والفلسفة لم توجد الا لقلة مفضلة بينما الكثرة حسبها الايمان والتسليم ، وهكذا ... ولسنا نجمل ما قد كان لهذا الموقف من وخيم العواقب على الشعب ، والوطن والمجتمع ، وعلى الفكر نفسه والمفكرين انفسهم . فلقد هون هذا الموقف اضهاد الشعب وتضييع الاوطان وافساد المجتمع والتنكيل بالفكر والمفكرين او دفعهم الى العزلة والحيدة والازدواج في الشخصية وربما الاعتصام بالنفاق .

سيدى الدكتور : سألتك في اول هذا الحديث عن يكون هؤلاء الخاصة الذين قلت انك تكتب لهم . واعيد عليك السؤال . وأزيدك اني انا يا سيدى أرى الخاصة لفظاً لا يكاد يثبت على مدلول معين واضح الحدود . اذا نحن جعلنا القضية قضية مال وجاه كان الخاصة هؤلاء كناية عن ثلة من الاغنياء الكبار الذين يبذخون في المأكل والمشرب واللبس ويتسنى لهم مع ثرواتهم الفاحشة ان يأخذوا بالعادات واللباقات المصفاة المترفة . وانا اجلك عن ان يكون هؤلاء هم الخاصة الذين تقصر همك على الكتابة لهم . فهؤلاء - الا من عصم الله - قلما يهتمون ان يكون الادب غير متاع من باب النقش المزخرف والطلاء البراق والمسلاة المرفهة ، يشرون ذلك كله باموالهم ويستعينون به على دفع السأمة والرتابة وعلى حشو الفراغ الذي يملأ حياتهم ويكرههم احياناً . وهؤلاء قلما يهتمون ان يكون الاديب غير نديم او مهرج او مبرق لهم يرتق من فتات موائدهم بضرب من التجارة حقير هو التجارة بالكلمة .

واذا جعلنا القضية قضية علم ودقة ذوق وحس ودرية واتقان أصبح الخاصة هؤلاء كناية عن نضطلع على تسميتهم بالمتقنين . والمتقنون في عصرنا خصوصاً ، العصر الذي زخرت فيه الحياة بالتجارب الخطيرة ، واتسعت ابواب المعرفة الى المدى الابعد ، وانتشر التعليم واتجه الى التخصص في باب دون باب من المعرفة التي اصبحت ولا بد من تجزئتها لتمكن الاحاطة ولو بجزء منها ، اقول : ان المتقنين هؤلاء يلحقون بالكافة او يلحق بهم الكافة حتى يتضاءل الخط الفاصل بين الفئتين ويتبرجج ، فيدخل امرؤ في فئة الخاصة على اعتبار ، ثم

يدخل هو نفسه في فئة الكافة على اعتبار آخر . ما قولك يا سيدي في عامل مصنع للنسيج او فلاح مزرعة عصرية ، هما متفقان ام لا ؟ بل كلاهما لا شك متقف من وجه ، لان طبيعة العمل في مصنع النسيج وطبيعة العمل في المزرعة الحديثة ، مع ما يلزم العملاق من سياسة الآلات والحبرة بالغزل والارض والشجر والاسمدة كل ذلك ثقافة من الثقافة . واذاً فهذا العامل والفلاح خاصة ام كافة ؟ ثم ما قولك يا سيدي في طبيب ماهر في تشخيص العلة ووصف العلاج ولكنه اشد خلق الله سذاجة بل جهلاً حين يتناول الحديث الاجتماع والفلسفة والتاريخ فضلاً عن الزراعة او الشعر . امثقف هذا الطبيب ام لا ؟ اخاصة هو ام كافة ؟ بل هذا الرسام البارع والنحات الماهر ، ولكنه لا يحسن الموسيقى والرقص والشعر وربما جهلها جهلاً ، امثقف هو ام لا ؟ اخاصة هو ام كافة ؟ وهذا العالم من علماء الطبيعيات او الفلك ، الذي اذا قرأ كتابك « المعذبون في الارض » حسبه من هذر القول لأنه ليس بحثاً في الذرة ولا في الجاذبية ولا في النظام الشمسي ولا في كوبرنيك ولا بلاس امثقف هو ومن الخاصة الذين تكتب لهم ؟ بينما هذا الفلاح الصعيدي الذي اذا قرأ او سمع كتابك نفسه وجد فيه ملامح من حياته وصوراً من همومه وتذوقه واعجبه تعدد جاهلاً ومن الكافة الذين لا تعنى بالكتابة لهم ؟

سيدي الدكتور ، ايها الحفل الكريم :

ثمة نظريات في الادب ودور الاديب لا يحيط بها حصر . نظرية ترى في الادب خطفاً الى عالم مسحور : حوادث عجيبة وأخيلة غريبة والفاظ عذبة الرنين وسبك متين وصور كلامية بارعة اتشبيها سميت ام كناية ام مجازاً ام رمزاً . هذه النظرية لا ترى في الادب الا محض لذة وترفيه وعزاء وانتشاء يخلقها الاديب ساكن البرج العاجي لقرائه اوسامعيه من قرار عبقريته او من غيب يستمد منه الوحي والالهام .

ونظرية ترى في الادب انصرافاً الى عالم الواقع ونقلها واظهاراً لما في هذا العالم الواقعي بكل جماله وقبحه وسواء ارضي الذوق ام سخط وسواء أطاقت الاخلاق ام انفت . فالادب لا يعدو ان يكون فناً للفن ، وربما المنحط معنى « الفن » في مفهوم هذه النظرية الى محض الشكل وصياغته بالانقطاع عن المحتوى والمضمون . وأما الاديب بحسب هذه النظرية فلا يزيد عن ان يكون فناً يحسن الوصف والتصوير لما يجعل الواقع

بين يديه من شكول ونماذج ، او هو لا يحسن أكثر من سبك العبارات .

ونظرية ترى في الادب انفتاحاً على الحياة المتحركة المتجددة ابدأ . تتجدد بان يموت فيها ما هرم وتفسخ وانحل وبأن يثبت فيها ما ولد واقبل على القوة والشباب . فالاديب بالتالي لا ينقل نسخة عن العالم الواقعي وليس هو محض اوصاف لما يعرض عليه الواقع من شكول ونماذج ، او محض رصاف للالفاظ ، وإنما هو يميز في ما يصف ويصور ، ظواهر الحياة التي تنمو من ظواهرها التي تذبل وتضمحل ، لا يقصد من وراء ذلك الى لذة وترفيه او عزاء وانتشاء ، او مباحة بيان ، وإنما يقصد الى ان يدخل في وعي الجماهير اي هي الظواهر النامية في الحياة حولهم واي هي الظواهر الصائرة الى ذبول واضمحلال ، بغية ان يوجههم الى تغيير الحياة التغيير الذي تحتمله والذي يكون في الآن نفسه جمالاً وخيراً لان الخلق الفني الصحيح انسجام بين الخيال والممكن ، وبين الفني الجميل والاخلاقي الحير .

وانا ايها الحفل الكريم ويا سيدي الدكتور بمن يؤمنون بهذه النظرية الاخيرة في الأدب : انه فعل خلق فردي ، ولكن بمادة اجتماعية لا ميتافيزيقية ، مادة تنبع من الحياة الشعبية المتحركة المتجددة ، وتعود فتنصب في هذه الحياة الشعبية المتحركة المتجددة ، لتجعلها اعمق وعياً في تحركها وتجدها . تعود فتنصب عبر نفس الفنان بعد ان خلا الى ذاته ينتقي ويصطفي . ينتقي من ادق الدقائق في الخلق الادبي اعني اللفظة والاسلوب والصورة الى اعم مقومات الادب وعناصره اعني الموضوع الذي يستلزم - كما يصح موضوعاً - ان يكون متصلاً بالجديد النامي في الحياة ، وان يخاطب الكثرة اعني الشعب لا القلة والنخبة وحدها او الخاصة ، وان يجمع في الوقت نفسه فعلاً فنياً واخلاقياً ، خلافاً لما يرتئي بعض فلاسفة منهم الايطالي بنديتو كروتشه الذي يجب ان يسربل ماهية الفن والخلق الفني بضباب غموض يدعوه الحدس .

وان هذا الذي سبق لي ان قلته عن وجوب انفتاح الاديب على حياة شعبه لتمييز ظواهرها التي تنمو من ظواهرها التي تذبل وتضمحل ، ولتأييد ظواهرها النامية ومكافحة ظواهرها الذابلة المضمحلة ، ليستتبع ان يكون كل اديب شيئاً من فيلسوف . فما من فن الا وهو يسفر بالنتيجة وسواء اشاء

الفنان أم أبي ، عن طريقة في النظر الى العالم . وبالتالي عن طريقة للمعرفة وطريقة في التفكير ، أي : فلسفة .
وعصرنا هذا يقضي بان يكون الاديب بارادة واعية منه فيلسوفاً ، ولا سيما اجتماعياً ، يصدر عن فلسفة ، يدرك بها ان الحياة متحركة متجددة لا مستنقعة جامدة ، ويدرك اتجاه الحياة في حركتها وتجددها ، ويدرك ان ينبوع القوة في هذه الحركة ، والتجدد انما هو الشعب ، فالى الشعب ينبغي له ان يتوجه .

وانت اعرف مني يا سيدي بان لكل عصر قضايا ومشاكله التي تبرز فيه وتشتد وتلح الحاحاً حتى تصبح هي قضايا الجماهير ومشاكلها في ذلك العصر . واذا قلنا الجماهير فقد قلنا الكافة وانت اعرف مني ان ادب كل عصر حين يستحق اسمه يستحيل عليه ان لا يفعل بتلك القضايا والمشاكل انفعالاً يطبعه بخصائصه المميزة . واذا كان ادباً عميقاً قوياً فانه يفعل في تلك القضايا والمشاكل ولا يقف عند حد الانفعال بها . ذلك بان الانسان ومنه الاديب الفنان ، ليس متفرجاً بمسرحية هذا الوجود والكون والطبيعة (او ما شئنا من الاسماء) وانما هو بالذات بطل هذه المسرحية وعلى مصيره مدارها وهو الذي يعطيها معناها وغايتها .

وهكذا كان لا بدّ لادب كل عصر من ان يتعلق بمواضيع مشتقة من قضايا ذلك العصر ومشاكله ، مواضيع هي همّ الجماهير ذلك العصر وبالتالي لا معدى للاديب عنها فهو يكتب فيها وهدفه الجماهير او الكافة فيما يكتب ، منفعلاً وفاعلاً متأثراً ومؤثراً .

وعصرنا هذا يا سيدي الدكتور قد برزت فيه قضايا ومشاكل معينة واشتدت والحت الحاحاً حتى اصبحت هي قضايا الكافة ومشاكلهم . وهي في رأبي تدور على اربعة محاور : الاستقلال الوطني والحرية الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والسلم بين الشعوب او على تعبير ادق بين الدول ولا سيما كبرها . ومرجع هذه المحاور الاربعة كلها الى زيادة تحقيق الانسان لانسانيته او الى تمكينه من تحطيط طور انسانيته الراهنة الى طور ارقى ، مع ما ينطوي عليه ذلك من نفي الاستعمار والاستئثار والقمع والفقر والمرض واقرار الاخاء ، والأمن والحرية والتراحم بين البشر وخلق نفس بشرية اسمى واصفى وأقرب الى الله ، وتقوية سلطان اليد والذهن البشريين على الطبيعة لتخسر كل طاقتها لسعادة الانسان واساعة الجمال في حياته .
واديب العصر مسؤول عن ان يتصل ادبه اتصالاً حميماً

بهذه المواضيع يستمدّ منها الروح والمضمون لادبه ويتوجه به الى الكافة ، ولينوع من بعد العناوين والفنون والقوالب والاساليب ما شاءت له مواهبه التنويع .

واحسب ان قد آن لي هنا ان اثبت بصورة لا تقبل اللبس والجدال ما اعنيه بالكتابة للكافة . اني ايها الخفل الكريم ويا سيدي الدكتور انما اقصد بالكتابة للكافة . اني ايها الخفل الكريم ويا سيدي الدكتور انما اقصد بالكتابة للكافة ما قد سبق لي قوله الساعة : ان يستمد الاديب الروح والمضمون لادبه من القضايا والمشاكل التي اؤكد انها هي رأس قضايا العصر ومشاكله واؤكد انها هي همّ الكافة في هذا العصر ، سواء من الكافة من قد بلغ اليوم مبلغ الوعي لتلك القضايا والمشاكل او من هو بالغة غداً ولا ريب .

بكلمة اخرى ، اني لا ارضى بالكتابة للكافة ذلك المفهوم المبتذل الذي يزعم ان مدار الأمر في الكتابة للكافة ، انما هو العبارة الهينة الركيكة والمعاني السطحية والمواضيع الرخيصة التي تسلي او تتملق غرائز البهيمية في الانسان اونزعات الفطرة المتأخرة .

هذه عندي ليست كتابة للكافة ولكنها ضربة من الكتابة بشجع عليه اولو المصلحة اما ليسد حاجة من اتخمتهم الثروة الى تزجية الوقت ، واما ليشغل الشعب بالتفاهات عن الادب الفني الجدي الرصين .

وقد يحجج : ولكن الكافة لا تفهم ولا تذوق هذا الادب الجدي الفني الرصين . وهنا لا غنى عن استدراك اسرع اليه : ما ينبغي لنا ان نخلط بين الادب الذي يتوافر حظه من الجد والفن والرصانة والادب الذي يكظّه اللفظ العويص ، ويشقله التعمل والتعقيد والغموض . فاذا استدر كنا هذا ، بل اذا عرفنا ان السهولة والسلاسة والوضوح التي تأتلق معها الالفاظ اثلاً وتشرق المعاني على النفس اشراقاً ، لا تتنافى مع الانشاء العالي والفن الرفيع ، وانما تواكب في اكثر الاحيان كما تشهد روائع الآثار الادبية ، اذا استدر كنا وعرفنا هذا فقد سقط سبب من الاسباب المزعومة التي تحول بين الكافة وبين ان يفهموا الادب الفني الجدي الرصين ويذوقوه ويفهموه حق الفهم والذوق . ولا جد لي برهاناً اقرب من آثار الدكتور طه حسين نفسه ولا سيما كتابه الايام ، قفيه من الوضوح والسلاسة والسهولة ما لم يؤذعوا انشاءه ورفعة فنه بل كان

وعصره . واذاً ، فإن هم الخاصة وابن هم الكافة في هذا المضمار لا خاصة ولا كافة ، بل جميعهم كافة . وكل ما في الأمر ان من طبيعة الروائع الادبية ان يحتاج في فهمها الى التكرار واعماق الدرس وتعاقب الدراس والشرح . وسيدي الدكتور نفسه اجدر الناس بان لا يدفع هذا الرأي ، والا سألته ما بالك لم تترك الخاصة وحدهم يحصلون ما قد حصلته وادعته للناس في المعري وابن خلدون وقادة الفكر الذين عقدت لهم فصلاً في كتاب مشهور .

ايها الحفل الكريم : انا اعلم ان الكثير مما قلته الليلة واعتصمت به في الدفاع عن موقف التزمته في هذه القضية يتليء باصداء شتى عرفت في الدكتور طه وعرفتموها من اخزم . واخزم هنا هو اشباع المذهب الماركسي كما يبدو مطبقاً بشكل رسمي في احدى دول العالم . وليس هنا مجال الحوض في التجربة السوفياتية من جميع وجوها ، ولا في المذهب الماركسي من جميع جوانبه ، ولكن من باب جلاء الحقيقة والانصاف لي ولكم وللقضية التي نتناقشها اقول : اني ادين بالادب الموجه الموجه . وازيد ان كل ادب انما هو بطبيعته موجه وموجه معاً بوعي من الاديب او بغيروعي . فليكن اذاً موجهاً بوعي من الاديب . وحرية الادب واستقلال الادب ، اذا ظن معناها خلوه من التوجيه فانها وهم فارغ وادعاء باطل . ليست الحرية لا مسؤولية وليس الاستقلال لا مبالاة . ولكني اصر اقوى اصرار على ان يكون هذا التوجيه بفعل ارادي اختياري من الاديب حصل له اقتناع داخلي اقامه على الحقيقة بعدما تسنى له ان يعرفها بالشروط التي تعرف بها الحقيقة . هذا هو مفهوم حرية الاديب في نظري . فبالتالي اني انكر اشد انكار ان يكون التوجيه للاديب بقسر او باغراء من الدولة والحزب الحاكم . انكر اشد الانكار ان يكون معنى التوجيه للادب تلقيناً من الدولة والحزب الحاكم .

واذا كنت ارى ان الادب ليس هو شكله فقط ، بل شكله ومضمونه متحدين متوافقين ، واذا كنت ارى ان الادب ينبغي له ان يتمرس بقضايا العصر ومشاكله ويميز مع ذلك ظواهر الحياة النامية حوله من ظواهرها التي تدب وتضمحل ، ويتعلق بالمواضيع التي تبرز من جراء ذلك وتشتد وتلح ، فانا انكر ان يعني شيء من هذا تقنيناً للمواضيع او للاساليب من قبل الدولة والحزب الحاكم . لا بد للادب من عنصر عدم انسجام بينه وبين المواضع

المقوم لرفعة فنه وعلو انشائه على بقائه في متناول الكافة . وكذلك امثال المتنبي فانها حفر وتنزيل له من الروعة الفنية ما لا اخال احداً يماري فيه ، حتى لحقت هذه الامثال بعبارات الشعب وعاشت في لغته ، مع العلم ان كل لغة انما هي في الأصل لغة الشعب قد اوجدها الشعب ، وهي تؤول الى تيسر وتحنط في الكتب ان لم تثابر على اكتساب الحياة مما يشق الشعب ويخترع في عبارة كل يوم . فالشعب حتى في العبارة الفنية لا يأخذ من الأدباء الا اقل بكثير مما يعطيهم .

يبقى صحيحاً برغم هذا ان كثيراً من روائع الآثار الادبية لا تنقاد فوراً للفهم والذوق ، ولا تتكشف مقاصدها واسرار جمالها سريعاً ، بل ربما انتظرت دهرًا او ربما رأى فيها دهر ما لم ير فيها آخر . ولكن هذا لا يصدق على تلك الآثار بالقياس الى الكافة وحدهم بل بالقياس الى من يدعون الخاصة ايضاً . او فأروني اين هم الخاصة الذين يفهمون ويدقون رائعة ادبية كالملمهة الالهية لدانتي . اين هم الخاصة الذين يسبرون شخصية دانتي ويلسبون مقاصد رائعته واسرار جمالها دون قراءتها عشرات المرات ودون قراءة عشرات الكتب في شرحها والتعليق عليها وفي سيرة شاعرها وتحليل عبقرية

دار الفكر - دار مكتبة الحياة : بيروت

تعييدان للخزانة العربية سابق مجدها
بالكتاب الخالد

لسان العرب

لابن منظور

صدر منه حروف الالف ، والباء ، والتاء
والتاء ، والجيم ...

باشراف طائفة من الاختصاصيين الجامعيين

تجديد في التبويب ، تفوق في الاخراج ، امانة

في النشر .. ذلك هو رائد

دار الفكر - دار مكتبة الحياة

صدر عن دار المعجم العربي

النظرية المادية في المعرفة

الجزء الأول: ماهي المادية

الجزء الثاني: الحركة في الطبيعة

قيد الطبع: الاجزاء الخمسة الباقية :

٣ (من ظهور الحياة الى ظهور الوعي

٤ (الدرجة الحسية من المعرفة

٥ (الدرجة العقلية من المعرفة

٦ (الحقيقة النسبية والحقيقة المطلقة

٧ (المدلول الطبقي لكل نظرية في المعرفة

عوض موسوعي شامل لجميع ما حققته المادية
الديالكتيكية من مكاسب كبرى في علوم الطبيعة والمجتمع

تأليف الفيلسوف الفرنسي

الدكتور روجيه غارودي

ترجمة: محمد عيتاني

وصدر أيضاً

المنطق الشكلي والمنطق الديالكتيكي

تأليف كيدروف

ترجمة: محمد عيتاني

حواله. ولا بد في الادب من نقد الاشياء حوله مع ما في
هذه الاشياء (لاسيا الدولة وأصحاب أمرها). والدولة
واصحاب امرها حين يستحيلون الى «نرسيس معجب بنفسه» ويجولون
الادب الى مرآة يطالع فيها نرسيس هذا جماله ويسخط على
المرآة اذا ارته خطوط هجنة او قبح في ملامحه ، فقد فقد
الأدب كل طعم .

يولع الماركسيون السوفيياتيون الرسمىون بتزويد هذه
الكلمة : « الأدباء مهندسو الأرواح البشرية». صحيح . ولكن
شرط ان لا يكون هؤلاء المهندسون قد هندس لهم سلفاً
كل شيء !

وإذا كنت ارى ان الادب هو خلق فني يخلقه الاديب
بفعل نفسي ابي مؤثراً في الحقيقة الخارجية لا متأثراً بها فقط ،
ويتوجه بخلقه هذا الى الكافة ، فانا انكر اشد انكار ان
يكون تقويم الأدب بحسب الحكم الذي ترتجله عليه الكافة ،
فكما ينبغي في الأعمال الادبية الاختيار كذلك ينبغي في
الاحكام على الاعمال الادبية. وقدماً سخر افلاطون في شرائه
بالحفاة التي ارتكبوها زمناً في اثينا وصقلية وايطاليا وهي ان
يقرر الجمهور فوراً جودة المسرحيات التي يشهدها برفع الايدي ،
فالمسرحية التي تظفر بالعدد الاوفر من الاصوات تكون
هي الاجود ! ماذا أقول ؟ حتى في ارسال الرجال الصالحين
الى الندوات النيابية لم تفلح هذه الطريقة ، فكيف في اختيار
افضل الآثار الادبية ؟

سيدي الدكتور: على شرط ان لا يكون هؤلاء المهندسون
المدعويون ادباء قد هندس لهم سلفاً كل شيء من قبل الدولة
والحزب الحاكم ، فالادباء هم حقاً مهندسو الارواح البشرية.
هكذا تقول الاشتراكية الحرة التي اعتقدها .

وليس الادباء تجارا وليس الادب سلعة كما تتوخى
الرأسمالية التي يتغرب معها الانسان عن نفسه وعن الناس والتي
ترجم القيم الانسانية حتى السعادة والنجاح الفني الى ارقام
مالية .

ومنذ ان كان الادباء مهندسي الارواح البشرية مع الشرط
الذي اكدت عليه ، فللادب قيمة من القيم الفضلى ورسالة من
الرسالات المثلى ولكن لا فعل لتلك القيمة ولا قوة لتلك
الرسالة الا حين يتصل الادب بالكافة ويبرز ضمائرهم وينير
بصائرهم ويجرحهم الى مزيد في وجودهم من الجمال والخير .

رثيف خوري